

تقدم

الحمد لله الذي أمر عباده بالتواصي بالحقّ والصّبر، والصلاة والسلام على من أدّى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمّة، سيدنا وحبينا محمد بن عبدالله، القائل: «الدين النصيحة»، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإنّ المكتبة الإسلامية تزخر بعددٍ هائلٍ من التصانيف في الوصايا والمواعظ والنصائح؛ ممّا يعكس حرص علمائنا رَحْمَهُمُ اللهُ عَلَى أداء رسالتهم في التربية والتوجيه، والإرشاد والدعوة إلى الخير، وقد كان لهذه الوصايا أثر طيب، ونفع كبير في أوساط الفئات المقصودة بها من أبناء وأقارب وطلبة، ولا سيما أنّها غالباً ما كانت تصدر من كبار العلماء والزهاد بدافع الرغبة في الإصلاح، وإيصال الخير إلى الغير؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ومن النصوص التراثية النادرة في أدب الوصايا: وصية جامعة، ونصيحة ماتعة؛ تعود إلى عصر أتباع التابعين في القرن الثاني للهجرة؛ وجهها الإمام المحدث الزاهد أبو مسعود المعافي بن عمران الأزدي الموصلي (ت 185هـ) إلى أولاده وقرابته وسائر المسلمين، رَسَمَ لهم فيها طريق الخير والصلاح، والهُدَى والفلاح، وحثّهم على التمسك بالقرآن، ولزوم تقوى الله والتوكل عليه سبحانه، والاعتصام به، وإيثار طاعته ومحبته تعالى، كما ذكّرهم بأداء فرائض الدين، والتحلّي بمكارم الآداب، وجميل الشّيَم والأخلاق، وأوصاهم ببر الوالدين وصلة الرحم، وإصلاح ذات البين، وتوقير الكبير، والعطف على الصغير، وحسن معاشرة الزوجة، وغيرها من النصائح النافعة، والتوجيهات الحكيمة. وبالرجوع إلى مضامين هذه الوصية؛ نجدتها تنقسم إلى قسمين رئيسيين: قسم يتضمّن مجموعة من الآداب والخصال التي ينبغي التحلي بها،

وقسم ثانٍ يتضمن التحذير والنهي عن جملة من الأخلاق الذميمة التي ينبغي تجنبها، ولم تقتصر هذه الوصية على الأمور الدينية؛ من فرائض وواجبات، وآداب وسنن؛ بل اشتملت أيضا على نصائح تتعلق بالأمور الدنيوية؛ كحثه رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى الكسب بواسطة التجارة، وتحذيره من بيع العقار، وفي ذلك يقول: «وإن استطعتم ألا تُصَيِّعُوا نصيبكم من التجارة، فإن في ذلك الفضل في الدنيا والآخرة إن شاء الله، والصَّوْنُ لدينكم وأعراضكم وأماناتكم»، ويقول أيضا: «(وإياكم وبيع العقار، والميراث منه خاصة، وأن تُطيعوا أنفسكم في بيع شيء منه، وإن نزلت حاجة واشتدَّ الحال، فُعدُّوا أنفسكم كمن لا عقار له، وإن أصبتم به أضعافَ ثمنه، إلا بالاستبدال لِمَا ترون فيه الفضل، وترجون أن يكون أسلمَ للدين، وأصلح للمعيشة)».

وعزَّز المعافى وصاياه بأدلتها من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، وصاغها بعبارات في غاية السلاسة والوضوح، جلَّت سعة علم الرجل وصدقه، وورعه وزهده، ولا غرو في ذلك، فالمعافى رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ صُدُور علماء سلف هذه الأمة وزُهادها، ذكر عنه ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ جمع العلم والتقوى والورع، وحُكي أن رجلا قال لبشر الحافي رَحْمَةُ اللَّهِ: مالي أراك عاشقا للمعافى بن عمران، فقال: مالي لا أعشقه، وكان الثوري يُسمِّيه الياقوتة.

دخلت هذه الوصية إلى البلاد الأندلسية في أواخر القرن الثالث للهجرة؛ على يد مسعود بن علي بن مروان البجاني، الذي أخذها عن علي بن شيبان السدوسي (ت272هـ)، ثم تداولها كبار علماء الأندلس بالرواية والإقراء، منهم ابن خير الإشبيلي، وأبو محمد ابن عتاب، وطاهر بن مَفْوَز، وأبو عمر ابن عبد البر، وابن الحداء، وغيرهم، ثم انتقلت إلى العدو المغربية التي تحتفظ اليوم بنسختها الخطية الوحيدة بخزانة القرويين العامرة بمدينة فاس، والتي يعود تاريخ نسخها إلى سنة 812هـ، وهي النسخة المعتمدة في هذا الإصدار الذي اعتنى به الباحث الدكتور رضوان الحَضْرِي، فأتقن في ضبطه، وإصلاح خَلَلِهِ، وتنظيم فقراته، والتعليق عليه

بتعليقات نافعة؛ كما صدره بتقديم مفيد في التعريف بالموصي ووصيته؛ فاستحق عمله في تحقيق هذه الوصية التنويه والإشادة، واعتماده ضمن منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، بعدما حظي بمراجعة شاملة من الأستاذين الدكتور الباحثة المُدَقِّق عبداللطيف الجيلاني رئيس المركز، والدكتور مصطفى عكلي الباحث بالمركز.

فالله أسأل أن يجزي مؤلف الكتاب ومحققه، وجميع من كان عوناً في إخراجه خير جزائه، كما أسأله جلّ وعزّ أن يجعل هذا العمل في سجل حسنات راعي العلم والعلماء، مولانا أمير المؤمنين، جلالة الملك محمد السادس، أيده الله ونصره، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

و. أحمد عباوي

الأمين العام للرابطة الحميرية للعلماء